فضائل القرآن الكريم وأهله
على ضوء مقدمة متن الشاطبية

د. خالد عبد الله الريح حسين*

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مقدمة الشاطبية والوقوف على الآداب المتعلقة بالقرآن الكريم وكيفية التعامل مع القرآن الكريم علماً وعملاً. ثمَة أمور مهمة، وأسباب مقنعة، دفعتني لاختيار هذا الموضوع، من أبرزها. تعلق الموضوع بالقران الكريم الذى هو أفضل كتاب أنزله الله تعالي علي البشرية وغيرها. وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي فقمت بجمع ودراسة الأبيات من مقدمة متن الشاطبية التي تناولت التعريف بالقرآن الكريم، وفضل صاحب القرآن على غيره، والصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب القرآن. وقد خلص البحث الي عدة نتائج منها: أن صاحب القرآن صاحب خلق وسلامة صدر ودعوة إلى الله وعامل بما يعلم. ومن التوصيات أوصي طلاب العلم كافة بحفظ مقدمة متن الشاطبية والعمل بها.

Abstract:

The research Aim to study introduction of Text Elshatipya and studying on Art of holy Quran , how to deal with Quran (knowledge and work). beside invitation to alla. the research study poem in (Text Elshatipya) whitch dealt with Quran , beside high position of those Know Quran. the research give characters of bearer of Quran and it is methodology. beside the research take in details all object given in research

* أستاذ القراءات المساعد بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، منزل القرآن بلسان عربي مبين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عنه وعن صحابته الغر الميامين الذين تلقوا هذا القرآن من فيه طريّا بأفصح بيان وأعلى إعجاز، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فمن تشريف الله للمسلم أن يعيش في معية كلامه، يستضيء بنوره، ويغذى عقله، وفكره بضيائه، ففي رياض القرآن الحدائق الغناء، والزهور الفيحاء، والخير والعطاء والنماء، هو أنيس المتقين، ودرة الناصحين، وعبرة المعتبرين.

راحة الأرواح، وسبيل الفلاح. روض الرياحين، وملتقى المحبين، على هداه عكف الصالحون، وبأحكامه استنار العابدون، وفى دروبه مشى السائرون، ففاز كل هؤلاء بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

أمَّا بعد: فإنّ القرآن الكريم، كتاب ختم الله به كتبه، وجعله لخاتم أنبيائه.

فقد أوجب الله على المسلمين تدبر كتابه، وتكرار النظر فيه، فقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[1] وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ)[2].

وقد بيّنت الآية الثانية السبب الذي يحول بين المسلم وبين تدبر القرآن، وهو الأقفال الكثيرة التي توضع على القلوب، فتدعها في غفلتها وظلامها

[1] سورة النساء الآية (82)

[2] سورة محمد الآية(24)

وموتها، لا تحيا بالقرآن، ولا تصلها أنواره، ولا تتعامل معه، وهى تدعو أصحاب هذه القلوب إلى تكسير تلك الأقفال وإزالتها، وإلى فتح حنايا قلوبهم لهدى القرآن ونوره وضيائه، لتشرق بالنور وتدب فيها الحياة.

وهذا القرآن الحبيب العجيب المعجز، عجيب في صفاته وسماته، غنى في معانيه ودلالاته، ثمين في كنوزه وحقائقه، حي في نصوصه وتوجيهاته، قوى في أهدافه وأغراضه، واقعي في مهمته ورسالته، فاعل في أثره ودوره، معجز في أسلوبه وهديه، مستمر في عطائه، إنه ذو عطاء دائم متجدد، أقبل عليه المسلمون في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، فوجدوا عندهما يريدون وزيادة، قرءوه وتدبروه، وعاشوا به ونظروا في نصوصه، وفسروا آياته، وبينوا شرائعه، وتحدثوا عن توجيهاته، واستخرجوا من كنوزه، وجنوا من ثماره.

أهمية البحث:

ثمَة أمور مهمة، وأسباب مقنعة، دفعتي لاختيار هذا الموضوع، من أبرزها الأتي:

1. تعلق الموضوع بالقرآن الكريم الذي هو أفضل كتاب أنزله الله تعالي علي البشرية
2. إبراز جهود الإمام الشاطبي رحمه الله تعالي في خدمة القرآن الكريم والقراءات

أسباب اختيار الموضوع:

1. أن يتعلم الطالب الأدب قبل العلم وخاصة طالب القرآن.
2. إن الإمام الشاطبي رحمه الله ألفه في مقدمة الشاطبية أبيات تدلَّ الطالب كيف يتعامل مع القرآن ومع المجتمع.

3. النصائح والإرشادات الموجودة في المقدمة معظمها مقتبسة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة يجب الاهتمام بها وحفظها وتطبيقها.

منهج البحث:

هو المنهج الوصفي التحليلي حيث أجمع أبيات من مقدمة الشاطبية التي تتحدث عن موضوع واحد وأقوم بشرح هذه الأبيات من أمهات كتب شراح هذه القصيدة وأضيف إلى هذا الشرح آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث على النحو التالي: **المبحث الأول:** التعريف بالقرآن الكريم وفضائله والتعريف بالإمام الشاطبي. **المبحث الثاني:** فضل صاحب القرآن على غيره. **المبحث الثالث:** الصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب القرآن.

المبحث الأول

التعريف بالقرآن الكريم وفضائله والتعريف بالإمام الشاطبي

تعريف القرآن: لغة هو قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} 1. أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر.

وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم1

القرآن: هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها.

القِران: بكسر القاف، هو الجمع بين العمرة والحج بإحرام واحد في سفر واحد. 2

قال الأمام الشاطبي:

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ * فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلَا3

---

[1] مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ – 2000م ص 15

[2] كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م ص 174

[3] متن الشاطبية المسمي حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ)، المحقق: محمد

قال تعالي: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ)[1]. وبعد هذه البداءة فحبل الله فينا كتابه، جاء في تفسير قوله تعالى: (وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)[2]، أنه القرآن، وقوله: «فجاهد به»، أي بالقرآن، كما قال تعالى: (فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا)[3] أي بحججه وأدلته وبراهينه. و(الحبل) بفتح الحاء يستعار للسبب، والقرآن سبب المعرفة، لأنه وصلة بين العبد وبين ربه.

فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلَا

فجاهد أيها القارئ بهذا الكتاب وبما تضمنه من أدلة وبراهين مكايد خصومه وأعدائه حال كونك متحبلا بالقرآن أي جاعله حبالة تصيدهم بها إلى الإيمان والحق. [4]

تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، 1426 هـ - 2005 رقم البيت (5)

[1] سورة فاطر: الآية (29)

[2] سورة آل عمران الآية (104)

[3] سورة الفرقان الآية (52)

[4] سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي المؤلف: أبوالقاسم (أو أبوالبقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري

قال الإمام الشاطبي:

وَأَخْلِقْ بهِ إذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً * جَدِيداً مُوَاليهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلَا[1]

أخلق به من قولك خليق بكذا أي جدير. أخلق الثوب خلق إذا بلي وجدَة تمييز وهي ضد البلى يستعار ذلك للقرآن العزيز. وفي الحديث الشريف (إن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد)[2]

أي لا يحدث له البلى، ناشئاً عن كثرة ترداده وتكراره ومرور الزمان عليه (وجديداً) من (الجدَّ) بفتح الجيم وهو العظمة والعزة والشرف (مواليه) بمعنى مصافيه وملازمه (علي الجد) أي حصل الجد واستقر عليه، والجد بكسر الجيم، ضد الهزل (مقبلا) حال من الضمير المقدر في الخبر الراجع علي مواليه أي: استقر علي الجدَّ في حال إقباله عليه واحتفاله به عملا وعلماً، يشير إلى ما كان الأولون عليه من الاهتمام به والذي والاه على الجد حصل له العز والشرف [3].

التعريف بالإمام الشاطبي

هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الإمام أبومحمد وأبوالقاسم الرعيني الشاطبي المقرئ الضرير أحد الأعلام. ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين

الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ) راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر ص، الطبعة: الثالثة، 1373 هـ - 1954م

[1] متن الشاطبية رقم البيت 6

[2] حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم 1881

[3] إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبوالقاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: 665هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ج 1 ص 43

وخمسمائة، وقرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبدالله محمد بن أبي العاص النفزي. ثم ارتحل إلى بلنسية وهي قريبة من شاطبة[1].

فعرض بها التيسير من حفظه، والقراءات على أبي الحسن بن هذيل، وسمع الحديث منه، ومن أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبدالله بن سعادة، وأبي محمد بن عاشر، وأبي عبدالله بن عبدالرحيم، وعليم بن عبدالعزيز، وأبي عبدالله بن حميد. وارتحل ليحج، فسمع من أبي طاهر السلفي وغيره، واستوطن مصر واشتهر اسمه وبعد صيته، وقصده الطلبة من النواحي، وكان إماما علامة، ذكيا كثير الفنون منقطع القرين، رأسا في القراءات، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية، واسع العلم. وقد سارت الركبان بقصيدتيه(حرز الأماني)و(عقيلة أتراب القصائد)، اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون؛وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء، وحذاق القراء[2].

قال أبوعبدالله الأبار في تاريخه: تصدر للإقراء بمصر، فعظم شأنه، وبعد صيته، وانتهت إليه الرياسة في الإقراء، قال: وقفت على نسخة من إجازته، حدث فيها بالقراءات، عن أبي عبدالله بن اللاية، عن أبي عبدالله بن سعيد، ولم يحدث فيها عن ابن هذيل. قال: وتوفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسعين وخمسمائة. قلت: وكان موصوفا

[1]معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، المؤلف: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997م. الطبقة الرابعة عشر ص _ 312.

[2]غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبوالخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية2-20.

أيضا بالزهد، والعبادة والانقطاع، وقد تصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية، ومن شعره:

قل للأمير نصيحة*لا يركنن إلى فقيه

إن الفقيه إذا أتى*أبوابكم لا خير فيه

عاش الشاطبي – رحمه الله – اثنتين وخمسين سنة [1]

المبحث الثاني

فضل قارئ القرآن على غيره

قال الإمام الشاطبي:

وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ * كَالَاتْرُجِّ حَالَيْهِ مُرِيحًا وَمُوكِلَا[2]

إن قارئ القرآن المرضي أخلاقه، ثبت مثاله، مشبهاً الأترج في حاليه، الإرحة والطعم، أو قارئ القرآن هو المرضي أخلاقه دون غيره، أو قارئ القرآن المرضيَّ أخلاقه، قر عينه لما يري في الدنيا من المجد والكمال، وفي الآخرة من الثواب والإجلال، ومثاله مشابه للأترج والبيت مأخوذ من قوله صلي الله عليه وسلم [3]. «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ

[1] سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م4-71

[2] الشاطبية رقم البيت (7)

[3] شرح شعلة علي الشاطبية المسمي كنز المعاني شرح حرز الأماني 0 تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أ حمد بن الحسين الموصلي المعروف بشعلة المتوفي سنة 656ه ص 7

القرآن، مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن، كمثل الحنظلة، ليس لها ريح، وطعمها مر». [1]

وقال الأمام ابن الجزري في (طيبة النشر):

وبعد فالإنسان ليس يشرف* إلّا بما يحفظه ويعرف [2]

كلّ من قرأ «القرآن الكريم» وعمل بما فيه من أحكام، وآداب.

يشرفه وترتفع منزلته بين المسلمين، فبيّن أن الإنسان المسلم لا تسمو مكانته، ولا ترتفع منزلته إلّا بما يحفظه، ولذلك كان فخر آدم على الملائكة هو بما علمه الله تعالى من الأسماء كلها. [3]

قال الإمام الشاطبي:

هُوَ الْمُرْتَضَى أَمَّا إِذَا كَانَ أُمَّةً * وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرَّزَانَةِ قَنْقَلَا[4]

هو ضمير القارئ، أي: هو المرتضى قصده، لأن معنى الأمَّ القصد، وكان بمعنى صار، ويقال للرجل الجامع للخير: أمة، كأنه قام مقام جماعة لأنه اجتمع فيهما تفرق فيهم من المصالح. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[5] وقوله: ويممه أي قصده، والرزانة السكينة والوقار، واستعار

---

[1] سنن ابن ماجة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ج14، ص77.

[2] مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، تَأْلِيفُ: إِمَامِ الْحُفَّاظِ وَشَيْخِ الْقُرَّاءِ / مُحَمَّدِ بْن مُحَمَّد ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيّ بْن يُوْسُفَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَزَرِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ تعالى – (751–833) رقم البيت 5

[3] الهادي شر حطيبة النشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: ، دار الجيل–بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 مج1 ص15

[4] الشاطبية رقم البيت (8)

[5] سورة النحل الآية 120

للرزانة ظلا، وجعل الرزانة هي التي تقصده كأنها تفتخر به لكثرة خلال الخير فيه، قال عليه الصلاة والسلام: «من جمع القرآن متّعه الله بعقله حتى يموت»[1]. والقنقل الكثيب من الرمل، والقنقل أيضا المكيال الضخم، وكان لكسرى تاج يسمى القنقل. [2]

قال الإمام الشاطبي:

هُوَ الْحُرُّ إِنْ كانَ الْحَرِيَّ حَوَارِياً * لَهُ بِتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلَا[3]

اللغة: الحر: هو الذى لم يلحقه الرق. والحرى: الخليق والجديد. والحواري: بالتشديد: الصاحب المخلص، وتخفيف يائه لضرورة الشعر، والتحري: الاجتهاد في قصد الحق وطلب الصواب، والتنبّل: الرفعة، أو الموت.

والمعنى: أن القارئ هو الحر الذي لم يستعبده الهوى، ولم تسترقه الدنيا، ولكن إذا كان خليقا جديرا بالتحري في القرآن، والاستعداد لحفظه

[1] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المؤلف: علاءالدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهان فوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ) المحقق: بكري حياني – صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م رقم 2318

[2] سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص: 6)

[3] الشاطبية رقم البيت (9)

واستظهاره، والسير على طريقته، حال كونهم خلصا له نيتهم وجها إليه جميع حواسه، وشعوره، إلى أن ينبغي في العلم أو إلى أن يموت. [1]

قال الإمام الشاطبي:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ * وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلَا[2]

وقال ابن الجزري:

وهو في الأخرى شافع مشفّع * فيه وقوله عليه يسمع [3]

القرآن الكريم هو كتاب الله، وهو الشافع الذي لا ترد شفاعته.

الغناء: بفتح الغين والمد الكفاية، وهو مصدر بمعنى الفاعل أي أغنى مغن.

والمعنى: أن كتاب الله عزّ وجلّ هو الشافع الذي لا ترد شفاعته، وشفاعته للعبد تمنعه من وقوعه في العذاب وفي ذلك إشارة لقوله صلّى الله عليه وسلم «اقرء واالقرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعا لأصحابه». [4]

وقال عليه الصلاة والسلام: «من شفع له القرآني وما لقيامة فقد نجا)[5]

عن أَبُى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ

---

[1] الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، المؤلف: عبدالفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ) الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1412 هـ - 1992 مص 12

[2] الشاطبية رقم البيت (10)

[3] طيبة النشر البيت رقم 9

[4] أخرجه مسلم رقم 1915

[5] أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص 35.

الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "[2]

وأغنى غناء: أن كفاية القرآن أتمَّ من كفاية غيره، وإغناؤه أكثر من إغناء غيره حال كون القرآن واهبا لقارئه الثواب متفضلا عليه بالكرامة. [3]

قال الإمام الشاطبي:

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ * وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً[4]

اللغة: الجليس: الصاحب. والملل: السآمة. والترداد: التكرار. والتجمل: تفعل من الجمال وهو الزينة.

والمعنى: أن القرآن العظيم أحسن أنيس لا يسأم من حديثه، ولا تملَّ تلاوته ولا سماعه. وتكراره يزيده جمالا لما يظهر من تلاوته من النور والبهجة، ويزيد قارئه تجملا لما يقتبس[5]قيل: لا يملَّ حديثه، أي: لا تمل تلاوته وسماعه، أشار إلى قولهم: «كل مكرر مملول إلا القرآن»، والهاء

---

[1] صحيح مسلم باب فضل القرآن وسورة البقرة ج1ص 553

[2] سنن ابن ماجه باب ثواب القرآن ج2ص 1244

[3] تقريب المعاني في شرح حرز الأماني تأليف سيد لاشين – د خالد بن محمد الحافظ العلمي ص 17

[4] الشاطبية رقم البيت 11

[5] الوافي في شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي ص 12

في ترداده تعود على القرآن، لأنه كلما ردد ازداد حسنا وجمالا، ويجوز أن يعود على القارئ لأنه يزداد بترداده من الثواب الجزيل، وفوائد العلم الجليل، ما يتجمل به في الدنيا والآخرة[1].

القرآن خير جليس، وهو أحسن الحديث لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[3]

قال الإمام الشاطبي:

وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ * مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً[4]

قال أبو ذر– رضي الله عنه–: الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وليتخلق في نفسه ويأمر جميع من حضره بالأخلاق النبوية وليتمسك بالكتاب والسنة في جميع تصرفاته الظاهرة والباطنة فهذا أصل كل خير ومنبع كل فضيلة. [5]وصف القارئ بالفتوة وهو

---

[1] سراج القارئ ص 33.

[2] سورة الزمر الآية (23)

[3] سنن أبي داود ج2ص71

[4]الشاطبية رقم البيت 12

[5]غيث النفع في القراءات السبع، المؤلف: علي بن محمد بن سالم، أبوالحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: 1118هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت،

وهو خلق جميل يجمع أنواعا من مكارم الأخلاق، ويرتاع أي: يفزع وأضاف الظلمات إلى الفتى لأنها ظلمات أعماله الناشئة من القبر يلقاه القرآن سنى متهللا،[1]

قال عليه الصلاة والسلام: «إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة، وإن الله لينورها لهم بصلاتي عليهم[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن القبر أول منزلة من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه)[3].

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه)[4]

وللقبر ظلمات لا ينورها إلا صالح الأعمال.

قال الإمام الشاطبي:

يُنَاشِدُ في إرْضَائِهِ لحبِيبِهِ * وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إلَيْهِ مُوَصَّلَا[5]

المناشدة: المبالغة في الطلب. والحبيب: فعيل بمعنى المفعول أي المحبوب. وأجد ربه: صيغة تعجب، والسؤل: المسئول وهو المطلوب، والضمير في

المحقق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي الحفيان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ – 2004 م(ص: 17).

[1] إرشاد المريد إلي مقصود القصيد في القراءات السبع –تأليف الشيخ محمد علي الضباع – تحقيق إبراهيم عطوه عوض – مكتبة محمد محمود الحلبي– الطبعة الأولي – 1404ه – 1974 م ص 9

[2] حديث صحيح أخرجه مسلم 381 – والنسائي 1–259 – وأحمد 5–447

[3] حديث صحيح: أخرجه الترمذي رقم 2308

[4] ابن ماجه رقم البيت 4267

[5] الشاطبية رقم البيت 14

يناشد يعود على القرآن وفي إرضائه يعود على الله تعالى، وفي لحبيبه يعود على القرآن. وحبيب القرآن هو القارئ للقرآن العامل بما فيه.

والمعنى: يناشد القرآن ربه أن يعطي قارئه من الأجر والمثوبة ما تقر به عينه. وقوله:

وأجدر به سؤلا إليهم وصلا: معناهما أحق مسئول هو مطلوبة أن يوصل إليه. [1]

وفي كتاب الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلي الله عليه وسلم (يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة فيقول يا رب زده حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة)[2].

قال الغمام الشاطبي:

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً * مُجِلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا[3]

ينادي قارئ القرآن المتصف بالصفات المتقدمة يقول: يا من قرأت القرآن حال كونك معتصماً به أي عاملاً بما فيه ملتجئاً إليه في نوازله آخذاً بقوله تعالى: چئى ئىچ[4] مجلاً للقرآن معظماً له، ومن تعظيمه له: أن يحسن الإنصات له، والاستماع لتلاوته، وتوقيره حملته، ويصون القارئ أيضاً

[1] الوافي في شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضي ص13

[2] رواه الترمذي 2915

[3] الشاطبية رقم البيت 15

[4] سورة الأعراف الآية (170)

نفسه مما يشنيه في دينه ودنياه[1]، وفي الحديث الصحيح (كتاب الله فيه الهدي والنور، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به)[2].

ومن إجلاله اجتناب حامله كل ما يشين من الأفعال المستقبحة ' قال: ابن مسعود (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبتواضعه إذ الناس يتكبرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون)[3].

وقيل: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يسهو مع من يسهو، ولا أن يلهو مع من يلهو.

قال ابن الجزري:

وإنّهم في الناس أهلا لله * وإن ربّنا بهم يباهي

وقال في القرآن عنهم وكفى * بأنه أورثه من اصطفى [4]

المعنى: أشار «ابن الجزري» رحمه الله تعالى في هذا البيت، إلى قول الله تعالى: (ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا)[5].

---

[1] شرح شعلة علي الشاطبية المسمي كنز المعاني شرح حرز الأماني تأليف الأمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي المعروف بشعلة المتوفى سنة 656هـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف دار الكتب العلمية بيروت ص 21

[2] السنن الكبرى، باب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ج7، ص 320.

[3] فضائل القرآن لأبو عبيد ص (42)

[4] طيبة النشر رقم البيت 7

[5] سورة فاطر الآية (32)

قال الأمام الشاطبي:

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما * مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلاْ[1]

أي: عش عيشا هنيئا، والهنيء الذي لا آفة فيه، والمحمود الطيب المستلذ الخالي من المنغصات، والمريء المنساغ في الحلق، وهما من أوصاف الطعام والشراب في الأصل، ثم تجوّز بهما في التهنئة بكل أمر سار، وأشار إلى قوله عليه الصلاة والسلام «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس، والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا». [2]

قال الإمام الشاطبي:

فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ * أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفَوَةُ المَلَا[3]

فما ظنكم: مبتدأ وخبر، ومعناه: ظنوا ما شئتم من الجزاء لهذا الولد الذي أكرم من أجله والداه كما سبق في الحديث، فما ظنك بالذي عمل بهذا القرآن وفي حديث آخر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس» قيل من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»[4].

فما ظنكم بأهل الله وخاصته، والنجل: الولد، والصفوة، هو الشيء الخالص، والملأ: الأشراف والرؤساء وجماعة الرجال أيضا في الحديث

1 الشاطبية رقم البيت 16

2أخرجه أبو داود 1453.

[3] الشاطبية رقم البيت 17

[4] حديث صحيح أخرجه مسلم ج1– ص 472.

الآنف الذكر، لقوله صلّى الله عليه وسلم: «أشراف أمتي حملة القرآن»[1].

وفي الآخر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل)[2]

قال ابن الجزري:

لذاك كان حاملو القرآن * أشراف الأمّة أولي الإحسان [3]

عن عثمان بن عفان» رضي الله عنه، أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[4]

المبحث الثالث

الصفات التي يجب أن يتحلي بها قارئ القرآن

قال الإمام الشاطبي:

أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى * حُلاَهُمُ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلَا[5]

المعنى: أن أهل القرآن هم أصحاب الخير والإحسان، والصبر على الطاعات، والبعد عن المحرمات، والورع عن المعاصي، حُلاهم بها جاء القرآن مفصلا، أي صفاتهم ورد القرآن بها في قصص الأبرار وأخبار الأخيار[6]

---

[1] فتح الوصيد في شرح القصيد تأليف علم الدين أبي محمد الحسن علي بن محمد السخاوي المنوفي سنة 643هـ –مكتبة دار الصحابة للتراث–الطبعة الأولي 1425ه –2004م – تحقيق الشيخ جمال الدين محمد شرف –ص–68

[2] إسناده صحيح عن ابن عباس كما في حديث الترغيب والترهيب (628)

[3] طيبة النشر البيت رقم 9

[4] رواه البخاري في فضائل القرآن (5072)

[5] الشاطبية رقم البيت 18

[6] شرح شعلة علي الشاطبية ص 23

قال الإمام الشاطبي:

عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً * وَبِعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلَا[1]

أي بادر إلى صفاتهم وألزمها ما عشت، أي مدة حياتك فيها منافسا أي مزاحما فيها غيرك، وبع نفسك الدنيا أي أبدل نفسك الدنية بأنفاسها العلا أي بطيب أرواح الأعمال الصالحة التي هي علا، و(الأنفاس) جمع نفس بفتح الفاء، و(العلا) بضم العين صفة الأنفاس. [2]

وفي الحديث: أن رجلا قال: يا رسول الله، أيُ الناس خير؟ قال: (من طال عمره وحسن عمله) قال: فأي الناس شر؟ قال: (من طال عمره وساء عمله)[3].

وروي البخاري: أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: عذر الله إلي امرئ أخر أجله حتى بلغ الستين سنة)[4]. وقال بعض الصحابة عند موته: اللهم إني لم أكن أريد البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ولا لكري(لجري) الأنهار، وإنما كنت أريد البقاء فيها للظمأ في الهواجر، ومزاحمة العلماء في حلق الذكر فعلي مثل هذه الأعمال كان حرصهم، ورغب النبي صلي الله عليه وسلم: مرة في الجهاد، ورجل من الأنصار وهو، عمير بن الحمام الأنصار، يأكل ثمرات في يده، فقال: إني لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن، ورمي ما في يده وقاتل حتى قتل [5].

---

[1] الشاطبية رقم البيت 19

[2] سراج القارئ ص 20

[3] حديث صحيح: أخرجه أحمد 4- 188

[4] حديث صحيح: أخرجه البخاري 8-111

[5] فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي ص 70

قال الإمام الشاطبي:

أَقُولُ لِحُرٍ وَالْمُرُوءةُ مَرْؤُهَا * لإِخْوَتِهِ الْمِرْآةُ ذُو النُّورِ مِكْحَلَا[1]

(الحر) هو الذي لم يسترقه هواه، ولم تستعبده مباهج الحياة. و(المروءة): كمال المرء بالأخلاق الفاضلة. و(مرؤها): رجل المروءة وصاحبها. والأخوة: جمع أخ من النسب وقد يراد به الأخفي الدين كما هنا. و(المكحل): هو الميل الذي يكتحل به. والمروءة.

والمعنى أن رجل المروءة وصاحبها نفعه لإخوانه من المؤمنين كنفع المرآة لهم، فيدلهم على عيوبهم ليعملوا على تلافيها كما تدل المرآة الناظر فيها على عيوبه. وهو ذو النور؛ أي الإيمان يشفى من الداء بنوره كما تشفى العين المريضة بما يفعله المكحل فيها، وفي البيت[2] إشارة لقوله صلّى الله عليه وسلم: «المؤمن مرآة أخيه المؤمن»[3]

قال الإمام الشاطبي:

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ. . . يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمِلا[4]

يقول: يا أخي في الدين يا أيها المجتاز، للذي تعبر نظمي هذا ببابه، أي تطالعه أو تسمع به اصنع الجميل به، بأن تظهر محاسنه وتغمض عن مطاعنه حالة عرضة علي الطلبة، ونشره لهم. [5]

قال الإمام الشاطبي:

---

[1] الشاطبية رقم البيت 74

[2] الوافي في شرح الشاطبية (ص: 34)

[3] أخرجه أبو داود في سننه (4920)

[4] الشاطبية رقم البيت 75

[5] إرشاد المريد الي مقصود القصيد ص 26

وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسِيجَهُ * بِالاغْضاَءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلَا[1]

أيظن بالنظم خيرا، لأن ظن الخير بالشيء يوجب حسن الاعتذار عنه، وسامح من المسامحة، وهي ضد المشاححة، نسيجه يعني ناسجه، أي: ناظمه بالإغضاء، أي بالتغافل والحسنى أي بالطريقة الحسنى، وإن كان هلهلا في نسيجه، والهلهل الخفيف النسج. [2]

قال الإمام الشاطبي:

وَسَلِّمْ لِإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ * وَالاُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلَا[3]

يقول: سلم للنظم عن المطاعن لأجل إحدى الحسنيين المذكورتين في قوله عليه الصلاة والسلام: «من طلب علما فأدركه، كان له كفلان من الأجر وإن لم يدركه، كان له كفل من الأجر»[4] إذا الحال لايخلو من الخطأ والصواب كما عبر عنه إصابة أي وصول إلى الصواب، وهذه الحسني الأولي، والحسني الأخرى، اجتهاد، أي: بذل الجهد في طلب المقصود، فلم يدركه فيكون كمن رام، أي طلب صوباً، أي مطراً فأمحلا أي وقع في المحل، أي انقطاع المطر، ويبس الأرض، ولم يحصل علي المرام، فلم ييأس عن نيل أجر واحد علي سعيه [5].

قال الإمام الشاطبي:

---

[1] الشاطبية رقم البيت 76

[2] سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص: 22)

[3] الشاطبية رقم البيت 77

[4] انظر سنن الدارمي 344

[5] إرشاد المريد إلي مقصود القصيد ص 26

وَإِنْ كانَ خَرْقُ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ * مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا[1]

أي وإن وقع في نسيجه خرق كنى بالخرق عن الخطأ، رشح استعارة النسج والهلهل بالخرق للعيب. قوله فأدركه، أي فتدارك ذلك الخرق بفضله من الحلم، أي من الرفق والحلم هنا الصفح وأصله تأخير المؤاخذ، وليصلحه أي يزيل فساده من جاد مقولا، والمقول اللسان وهو بكسر الميم، وأذن في هذا البيت لمن وجد خطأ في نظمه وجاد مقوله أن يصلح ذلك الخطأ، وهذا تواضع منه [2].

قال الإمام الشاطبي:

وَقُلْ صَادِقًا لَوْلاَ الْوِئَامُ وَرُوحُهُ * لَطَاحَ الأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَا[3]

صادقاً حال، أرادقولاً صادقاً، نظم في هذا البيت مثلا مشهوراً، وهو: لولا الوئام لهلك الأنام، أي: لولا موافقة الناس بعضهم في الصحبة والمعاشرة، لكانت الهلكة، وزاد الشاطبي قوله: روحه، أي: روح الوئام من مصلحة الدين والدينا وفي الحديث الصحيح: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم)[4]

وروح الوئام حياته، أراد الحياة التي تحصل بسببه، لأنه سبب لبقاء الناس وتوادهم، والروح، يعبر به عما تحصل به الحياة فكأنه قال: لولا الوئام وثمرته، لهلك الأنام. والأنام الإنس وقيل: الإنس والجن، وقيل كل ذي روح. والقلا: البغض أي: لهلك الناس في الاختلاف والتباغض، أي

[1] الشاطبية رقم البيت 78

[2] سراج القارئ المبتدي وتذكار المقري المنتهي ص 23

[3] الشاطبية رقم البيت 79

[4] أخرجه مسلم في صحيحه في باب تسوية الصفوف –من حديث ابن مسعود 432

لهلكوا بهما كأنه وقع في نفسه أن من الناس من يخالفه فيما يقصد من الإصلاح ويعيبه، وربما اغتيب لأجله فحذر من ذلك كله [1].

قال الإمام الشاطبي:

وَعِشْ سَالِماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ * تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلاَ[2]

سلامة الصدر تجمع أنواع الخير إذ يُتَقَي. ينتفي معها كل خلق مذموم كأكبر والبغي والحسد والغيبة وغير ذلك قال تعالي (إلا من أتى بقلب سليم) وقوله فغب: أي لا تحضر مع المغتابين ولا توافقهم ولا ترافقهم ولا تصغ إليهم فتكون في حكم الغائب فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (ما من امرئ يخذل امرئ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب نصرته، ومأمن امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، ألا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)[3] وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)[4].

(الحظار والحظيرة) ما يحوط به على الماشية من نحو أغصان الشجر ليقيها البرد والريح. والقدس الطهارة، وحظار القدس الجنة، وقيل: هو موضع في السماء فيه أرواح المؤمنين وعليهما المعنى. وأنقى نظيفاً ينقيا من الذنوب مغسلا أي مطهرا منها. [5]

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني ص 124

[2] الشاطبية رقم البيت 80

[3] أخرجه ابوداود4883

[4] حديث صحيح أخرجه الترمذي 1937

[5] فتح الوصيد في شرح القصيد ص 118

قال الإمام الشاطبي:

وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي * كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَا[1]

المعنى: أن زماننا هذا زمان الصبر؛ لأنه قد أوذي فيه المحق، وأكرم فيه المبطل، وأصبح فيه المنكر معروفا، والمعروف منكرا، فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقبض على النار الموقدة. وفي ذلك إشارة لقوله صلّى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[2]، وقوله: فتنجو من البلا، المراد به: العذاب الأخروي. [3]

قال الإمام الشاطبي:

وَلَوْ أَنَّ عَيْناً سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ* سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيْماً وَهُطَّلَا[4]

يقول لو عاونت عين صاحبها بالبكاء علي تقصيره في الطاعة لطالت مدامعها حال كون تلك المدامع كالديم الذي هو المطر الدائم والهطل الذي هو المطر المتتابع ولكن قحط تلك العين الذي هو عدم توكفها بالدمع ناشئ عن قسوة قلب صاحبها [5]

وَلَكِنَّها عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهاَ * فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِى سَبَهْلَلَا[6]

---

[1] الشاطبية رقم البيت 81

[2] أخرجه الترمذي 2189

[3] الوافي في شرح الشاطبية ص31

[4] الشاطبية رقم البيت 82

[5] إرشاد المريد إلي مقصود القصيد ص 25

[6] الشاطبية رقم البيت 83

(لكن)للاستدراك، وقسوة القلب غلظه، والقحط الجدب. أي: لم ينقطع الدمع إلا بسبب أن القلب قاس، قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وطول الأمل والحرص على الدنيا». قوله: «فيا ضيعة الأعمار» نادى ضيعة الأعمار على معنى التأسف، و(ضيعة الأعمار) ذهابها بلا كسب عمل صالح. تمشي أي: تمضي سبهللا أي فارغة، يقال لكل شيء فارغ سبهلل[1]

قال الإمام الشاطبي:

بِنَفسِي مَنِ اسْتَهْدَىَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ * وَكانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْباً وَمَغْسَلَا[2]

أي: أفدي نفسي، ومن موصولة أو موصوفة. ومعني استهدي: طلب الهداية أي اسلك الطريق المستقيم الموصل لله تعالي، والهاء في وحده، لله عز وجل، أو تعود علي المستهدي. فمعناه علي الأول أنه مخلص لله في استهدائه لا يرد إلا الله. وعن الثاني: هو منفرد في ذلك، لأنه في زمان خمول الحق وعلو الباطل، والشراب: النصيب. أي إذا اقتسم الناس حظوظهم كان القرآن العزيز حظه، فيكون القرآن العزيز له شربا يتروي به، ومغسلا يتطهر به من الذنوب، بدوام تلاوته والعمل بما فيه، والتلذذ بمناجاة منزله في ظلام الليل [3].

قال الإمام الشاطبي:

وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ * بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلَا[4]

---

[1] سراج القارئ ص 24

[2] الشاطبية رقم البيت 84

1 إبراز المعاني من حرز الأماني ص127

[4] الشاطبية رقم البيت 85

وطابت له الأرض التي تحمله لما عنده من الانشراح؛ بسبب صلاح حاله مع الله تعالى، وكنى بقوله: فتفتقت بكل عبير، عن ثناء أهلها عليه، واغتباطهم به، أو أن الأرض زكت وكثر خيرها بسبب هذا المستهدي لقيامه بالحق وبطاعة الله عزّ وجلّ. وكنى بقوله: مخضلا، عما أفاض الله عليهم ننعمه بالمحافظة على حدوده. [1]

فَطُوْبَى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ * وَزَنْدُ الأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلَا[2]

يقول: إن هذا المستهدي عيشته الطيبة وشوقه إلى ما عندالله من النعيم والنظر إلي وجهه الكريم، كل هذا يثير همته في الطاعة الموصلة إلى ذلك، ولوعة الأسف والندم علي ما فات من العمر في غير طاعة الله و يشعل في قلبه نار الحسرة علي ما ضاع من العمر الثمين، و مصروفا في غير فائدة[3]

قال الإمام الشاطبي:

هُوَ المُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ * قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلَا[4]

المجتبي: المختار، الله تعالى اختاره لما يسره الله له من فهم كتابه وتدبره والعمل بما فيه، قريباً بتواضعه، غريبا في طريقته ومذهبه، مستمالاً بتودد

[1] الوافي في شرح الشاطبية ص37

[2] الشاطبية رقم البيت 86

[3] تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع تأليف سيد لاشين – د. خالد بن محمد الحافظ العلمي – مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع – الطبعة الخامسة –1424ه– 2003م –ص 35

[4] الشاطبية رقم البيت 87

الناس إليه وحبَهم له وتلطفهم به، مؤملا عند نزول الشدائد، يرجي أن يزيل الله تعالي بدعائه ما نزل من بلائه[1].

قال الإمام الشاطبي:

يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلىً لأَنَّهُمْ * عَلَى مَا قَضَاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعُلَا[2]

يعد أي يعتقد أن كل واحد من الناس مولى أي عبدالله. مأمورا مقهورا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فلا يرجوهم ولا يخافهم لأن أفعالهم تجري على ما سبق به القضاء والقدر، أو يكون أراد بمولى: سيدا فلا يحتقر أحدا منهم بل يتواضع لكبيرهم وصغيرهم لجواز أن يكون خيرا منه. [3]

قال الإمام الشاطبي:

يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لأَنَّهَا * عَلَى المَجْدِ لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا[4]

يرى هنا من رؤية القلب أي لا يشغل نفسه بعيب الناس وذمهم ويرى ذمه لنفسه أولى لأنها على المجد أي على تحصيل المجد وهو الشرف لم تلعق من الصبر والألا أي لم تتحمل المكاره وعبر عن تحمله ذلك بتناول ما هو مر المذاق كل عقال صبر وأكل الألا والصبر [5]

قال الإمام الشاطبي:

وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ * وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلَا[6]

---

[1] فتح الوصيد في شرح القصيد ص 122

[2] الشاطبية رقم البيت 88

[3] إبراز المعاني من حرز الأماني ص 129

[4] الشاطبية رقم البيت 89

[5] سراج القارئ ص 25

[6] الشاطبية رقم البيت 90

يقول: كن في وفائك مع ربك مثل الكلب في وفائه مع أصحابه، فهم يضربونه ويطردونه، وما يقصر في نصحهم والذود عنهم، بل يبذل كل جهده في ذلك فلا يحملك ما تتعرض له من اختبار الله لك بفقر أو ابتلاء علي ترك العبادة. [1]

قال: الإمام الشاطبي:

لَعَلَّ إِلهَ الْعَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي * جَمَاعَتَنَا كُلَّ المَكَارِهِ هُوَّلَا[2]

يقول افعل ما ذكر لك رجاء أن يحفظ الله جماعتنا إن قبلنا الوصية عن كل مكروه ومفزع[3]

قال الإمام الشاطبي:

وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ * شَفِيعاً لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوْهُ فَيمْحَلَا[4]

ويجعلنا من الذين يشفع لهم القرآن ويشهد لهم يوم القيامة، وذلك لأنهم لم يتركوه، ولم يتهاونوا في حقه [5]، وفي هذا إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلم: «القرآن شافع مشفع. وما حلم صدق، من شفع له القرآن يوم القيامة نجا، ومن محلبه القرآن يوم القيامة كبّه الله في النار على وجهه»[6].

فالحاصل أن للقرآن يوم القيامة حالتين:

إحداهما: الشفاعة لمن قرأه ولم ينس العمل به

---

[1] تقريب المعاني في شرح حرز الاماني ص 35

[2] الشاطبية رقم البيت 91

[3] شرح شعلة علي الشاطبية ص 61

[4] الشاطبية رقم البيت 92

[5] الوافي في شرح الشاطبية ص 92

6أخرجه أبوعبيد في فضائل القرآن

الثانية: الشكاية لمن نسيه أي: تركه متهاونا به ولم يعمل بما فيه ولا يبعد أن يكون من تهاون به حتي نسيتلاوته، كذلك والله أعلم. وفي الدعاء اللهم لا تجعل القرآن بنا محلا. [1]

قال الإمام الشاطبي:

وَبِاللهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي* وَمَالِيَ إِلاَّ سِتْرُهُ مُتَجَلِّلَا

فَيَا رَبِّ أَنْتَ اللهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي * عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلَا[2]

(الحول): التحول من أمر إلى أمر ومن حال إلى حال. و(الاعتصام): الامتناع من كل ما يشين. و(القوة): القدرة، ضد الضعف. و(الستر): ما يستر به. و(التجلل بالشيء): التغطي به. و(حسبي): كافي من أحسبه الشيء إذا كفاه. و(العدة): ما يعدل دفع النوازل. و(الضارع): الذليل. و(المتوكل): المعتمد على من يوكل إليه الأمر. و(متجللا). حال من ضمير المتكلم في لي. و(ضارعا). و(متوكلا): حالان من الياء في اعتمادي.

والمعنى: أن تحولي من المعصية إلى الطاعة، وامتناعي من كلما يشينني. وقوتي على ما يرضي الله عني، كل ذلك بيد الله وحده، لايحصل إلا بمعونته وتوفيقه وفي الحديث الصحيح: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة»[3]. قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيرها: لا تحول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله. وقوله: ومالي إلا سترهم تجللا، معناه ليس لي ما أعتمد عليه إلا ما قد جللني به من ستره في الدنيا وأرجو مثل ذلك في الآخرة، أي ومالي إلا ستره حال كوني متجللا به أي متغطيا به. ثم يقول: فيا رب أنت الله حسبي.

---

[1] إبراز المعاني من حرز الأماني _ص 132

[2] الشاطبية رقم البيت 93-94

[3] مسند أحمد حديث أبي موسى الأشعري، ج32، ص 350.

والمعنى: يا مدبر أمري أنت كافي في كل مهمة. وعدتي في كل ملمة. وعليك- لا على غيرك- اعتمادي. وإليك استنادي. حال كوني متضرعا إليك. ذليلا بين يديك. متوكلا عليك. مفوضا جميع أموري إليك [1].

الخاتمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين، الذى أنزل عليه «وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»، ورضى الله عن صحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وجودك يا حنان يامنان، يا ذا الطول والإحسان، وقد توصل الباحث إلي النتائج التالية.

أولاً: النتائج:

1. إن مقدمة متن الشاطبية تحتوي على علوم ومعارف كثرة جداً
2. إن الإمام الشاطبي رحمه الله تعالي أوصي في مقدمة متن الشاطبية أهل القرآن كيف يتعاملون مع القرآن تلاوة وتدبراً وعملاً.
3. وبين أيضاً منهج أهل القرآن في الدعوة إلى الله تعالى.
4. وأثنى الإمام الشاطبي على أئمة القراءات وأهل القرآن في كل زمان ومكان.
5. وأن للقرآن شفاعة أفضل من غيره لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في العذاب وشفاعة غير القرآن تخرجه من العذاب.
6. أن صاحب القرآن صاحب خلق وسلامة صدر ودعوة إلى الله وعامل بما يعلم.
7. صاحب القرآن مكرم في الدنيا والآخرة.

[1] الوافي في شرح الشاطبية ص 41

ثانياً: التوصيات:

- أوصي طلاب العلم كافة بحفظ مقدمة متن الشاطبية والعمل بها.
- بأن يقرر متن الشاطبية كمطلب في كافة كليات جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
- دراسة شخصية الإمام الشاطبي وإبرازها لطلاب العلم.
- الاهتمام بعلم القراءات وتشجيع الدراسات العلمية في كافة علوم القرآن.

المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم.

صحيح الإمام البخاري

صحيح الإمام مسلم

سنن الإمام الترمذي

1. إبراز المعاني من حرز الأماني، المؤلف: أبوالقاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: 665هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية
2. إرشاد المريد إلي مقصود القصيد في القراءات السبع –تأليف الشيخ محمد علي الضباع – تحقيق إبراهيم عطوه عوض – مكتبة محمد محمود الحلبي– الطبعة الأولى– 1404ه – 1974 م
3. تاريخ القرآن الكريم، المؤلف: محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي الشافعي الخطاط (المتوفى: 1400هـ)، طبع للمرة الأولى: بمطبعة الفتح بجدة – الحجاز عام 1365 هـو 1946 م(ص: 10)
4. تقريب المعاني في شرح حرز الأماني تأليف سيد لاشين – د خالد بن محمد الحافظ العلمي

5. تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع تأليف سيد لاشين – د. خالد بن محمد الحافظ العلمي – مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع – الطبعة الخامسة –1424ه–2003م –ص 35
6. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي المؤلف: أبوالقاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ) راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ص، الطبعة: الثالثة، 1373 هـ – 1954 م
7. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الحديث– القاهرة، الطبعة: 1427هـ–2006م
8. شرح شعلة علي الشاطبية المسمي كنز المعاني شرح حرز الأماني تأليف الأمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي المعروف بشعلة المتوفى سنة 656ه تحقيق: جمال الدين محمد شرف دار الكتب العلمية
9. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبوالخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية
10. غيث النفع في القراءات السبع، المؤلف: علي بن محمد بن سالم، أبوالحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: 1118هـ)،

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، المحقق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي الحفيان، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2004م

11. فتح الوصيد في شرح القصيد تأليف علم الدين أبي محمد الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة 643ه–مكتبة دار الصحابة للتراث–الطبعة الأولي 1425ه –2004م – تحقيق الشيخ جمال الدين محمد شرف –
12. مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، تَأْلِيفُ: إِمَامِ الْحُفَّاظِ وَشَيْخِ الْقُرَّاءِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوْسُفَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَزَرِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ تعالى
13. متن الشاطبية المسمي حرزا لأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، 1426 هـ – 2005
14. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، المؤلف: شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417 هـ– 1997م. الطبقة الرابعة عشر.
15. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م

16. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، المؤلف: عبدالفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ) الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1412هـ - 1992م.